

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات  
ARAB CENTER FOR RESEARCH & POLICY STUDIES



(معهد الدوحة)

[www.dohainstitute.org](http://www.dohainstitute.org)

مقال

## قراءة في الموقف الإيراني المستجد من النظام السوري

علي حسين باكير

## مقالات وتعليقات

- قراءة في الموقف الإيراني المستجد من النظام السوري ..... ٢
- الخطاب الإيراني المستجد من نظام الأسد ..... ٢
- موقف الحكومة الإيرانية: ..... ٢
- موقف المعارضة الإيرانية: ..... ٢
- في تفسير المواقف الإيرانية المستجدة ..... ٣
- المرشد الأعلى معيار الموقف الإيراني الحقيقي ..... ٦

مع تطور الأزمة السورية، كثرت الحديث مؤخرا عن حصول تغيير في خطاب النظام الإيراني وبعض أركانه تجاه دمشق لجهة الاعتراف بوجود ثورة حقيقية، وحث الأسد على أهمية تفهم المطالب الشعبية وضرورة فتح حوار بين النظام والمعارضة، وذلك كمؤشر جدي على وجود تحول حقيقي في السياسة الإيرانية.

كما ترافق ذلك مع حديث عن حصول خلافات داخل السلطة الحاكمة في إيران حيال الموقف من الأسد، واتجه عدد غير قليل من المتخصصين والمحللين إلى أن هذه الإشارات ليست سوى إعلان عن عدم استعداد طهران للوقوف إلى جانب حليفها الاستراتيجي في العالم العربي حتى النهاية، خاصة وأنها تأتي في وقت أحوج ما يكون فيه النظام السوري إلى كل دعم ممكن من حلفائه.

## الخطاب الإيراني المستجد من نظام الأسد

### - موقف الحكومة الإيرانية:

منذ شهر آب/أغسطس، أصبح بالإمكان رؤية تغيير في لهجة الخطاب الإيراني إزاء الحالة السورية، وبتاريخ ٢٤/٨/٢٠١١ على سبيل المثال، قام تلفزيون المنار التابع لحزب الله بإجراء مقابلة مع الرئيس الإيراني أحمددي نجاد قال خلالها: "على الشعب السوري والحكومة السورية ان يجلسا مع بعض للوصول إلى تفاهم.. عندما يكون هناك مشكلة بين الشعب وقياداته، عليهم أن يجلسوا للوصول الى حل بعيدا عن العنف. إنّه لا يحق لأحدهما قتل الآخر".

ثم عبّر وزير الخارجية علي أكبر صالح عن نفس الموقف ولكن بشكل أكثر وضوحا، عندما وصف المطالب التي ترفعها المظاهرات في سوريا بـ"المشروعة"؛ مطالبا نظام الأسد بالاعتراف بها والاستجابة لها على وجه السرعة.

وأخذت بعض وسائل الإعلام الإيرانية فيما بعد- خاصة المحسوبة على رئيس الجمهورية - تعدّل خطابها من الدعم الكامل للنظام، إلى نقل خبر يظهر موقف الطرفين معا (النظام والمتظاهرين).

### - موقف المعارضة الإيرانية:

استغلت المعارضة الإيرانية هذه الإشارات بدورها، لتعبّر بشكل علني عن موقفها المعارض للسياسة الرسمية للبلاد، والقائمة على الدعم المفتوح لنظام الأسد؛ خاصة وأنّ آية الله محمد علي دستغيب - وهو مرجع

إصلاح بارز وعضو مجلس خبراء القيادة - كان قد شكك سابقاً في استراتيجية البلاد، داعياً إلى تخصيص الموارد للشعب الإيراني بدلاً من أن تذهب لدعم النظام السوري. وقد غضت السلطات الإيرانية الطرف عن آراء مماثلة في الصحافة والإعلام، فنشر "مركز دراسات الدبلوماسية الإيرانية" الذي يديره السفير السابق صادق خرازي - على سبيل المثال - مقابلة مع السفير السابق للبنان والأردن محمد علي سبحاني، تحت عنوان "الدعم الإيراني الأحادي للأسد سيؤدي إلى الإضرار بطهران" تحدث فيه عن ضرورة تعديل الموقف الرسمي، لأنه قد لا يخدم المصلحة الإيرانية حالياً. كما نشرت صحيفة "شرق" الإيرانية خبراً عن إرسال حوالي ٢٠٠ طبيب إيراني، هم من أشهر أطباء البلاد - بمن فيهم وزير الصحة السابق - رسالة إلى الأسد "الطبيب" يطالبونه فيها بإنهاء "العنف".

### في تفسير المواقف الإيرانية المستجدة

وقد فسّر عدد من الباحثين هذا التوجه العام على المستوى الرسمي وما لحقه من مستويات أخرى من ثلاث زوايا<sup>١</sup>:

- **الأولى:** بأنه يشكل بداية تخلي إيران عن حليفها السوري، وأنّ طهران تتوضع في اتجاه جديد استعداداً للقفز من مركب الأسد الغارق، وأنها لن تدعم النظام حتى النهاية.
- **الثانية:** أنّ هذا الخطاب يعكس انقساماً في البنى الرسمية الإيرانية حول الموقف من نظام الأسد بين متشددين ومعتدلين.
- **الثالثة:** أنّ هذا التحول في الخطاب، إنما هو امتداد للمعركة التي تجري منذ فترة بين الرئيس الإيراني وأنصاره من جهة، وبين المرشد الأعلى على الخامنئي وأنصاره من جهة أخرى، وأنّ نجاح قرر نقل المعركة بينه وبين المرشد الأعلى إلى الساحة السورية عبر هذا الخطاب.

<sup>١</sup> ينظر على سبيل المثال لا الحصر:

- يقول الباحث والمحلل السياسي الإسرائيلي (الإيراني) "مير جوادنفر" في مقال له نشر في صحيفة الجارديان البريطانية، إنّ خامنئي لن يدعم الأسد إلى النهاية، وإنه حالما يدرك أنّ نظام الأسد سيسقط، فسيتخلى عنه، بمعنى أنّه لن يبقى معه حتى النهاية. وينقل مير عن السفير الإيراني السابق للبنان "مسعود إدريسي" أنّ زعيم حزب الله اللبناني حسن نصرالله، قد غير موقفه من نظام الأسد، وأنّ هذا يعتبر مؤشراً على أنّ الخامنئي سيسلك نفس الطريق.

- يستنتج الباحث جايمس دورسي (RSIS) من هذه المؤشرات، أنّ خامنئي يجهّز نظامه لمرحلة ما بعد الأسد. ويذهب جنوثنان توبيين - المحرر الصحفي في مجلة "كومنتري" أبعد من ذلك، ليقول إنّ حزب الله وإيران باتا مقتنعين بنهاية نظام الأسد.

- يرى المحلل السياسي الإيراني محمد عطاني في مقال نشر له في "الفورين بوليسي" بتاريخ ٢٠١١/١١/٩ تحت عنوان "إيران تدعم الأسد، لكن ليس بأي ثمن"، أنّ هناك انقساماً في الداخل الإيراني، فيما يرى المحلل الإيراني فرهاد علوي في مقال نشر له في موقع "روز" بتاريخ ٢٠١١/٩/١٢، تحت عنوان "اللعبة مع الخامنئي في الساحة السورية" أنّ هذا التحول في الخطاب الإيراني ناجم عن الصراع بين الرئيس والمرشد، وأنّ الرئيس قرر نقل المعركة إلى الخارج عبر الحالة السورية.

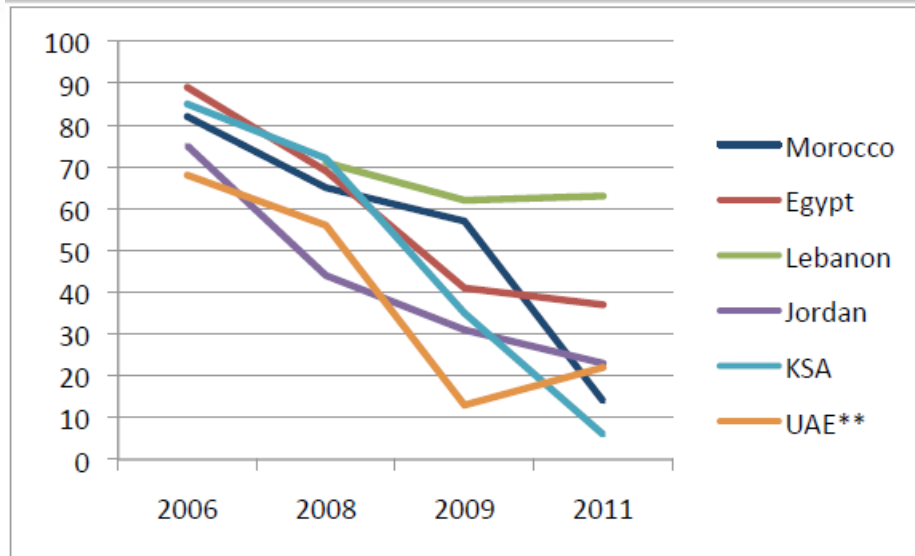
لكن الحقيقة أنّ الوصول إلى مثل هذه الاستنتاجات بهذه السرعة، إنما يعبر عن استخفاف في تناول السياسات الإيرانية وتحليلها، والتسرّع في الوصول إلى استنتاجات غير دقيقة على الإطلاق. فهذه التصريحات لا يمكن اعتبارها بأي حال من الأحوال، تحوّلًا استراتيجيًا في السياسة الإيرانية تجاه نظام الأسد، أو انعطافة مفصلية في طريقة تعاطي طهران مع حلفائها.

إنّ ما جرى، لا يعدو غير خطوة تكتيكية أشبه ما تكون بمزيج بين غطاء واق وبالون اختبار، خاصة إذا ما استبعدنا موقف المعارضة الإيرانية الذي يعتبر طبيعيًا في سياق مناكفة النظام الإيراني سواء أكانت المعارضة تؤمن حقيقة بما تقول أم أنها تقوله لمجرد المعارضة وركزنا على الموقف الرسمي. وعلى هذا الأساس، فإن تحليل الموقف الإيراني إنما ينطلق من اعتبارات لعل أهمها:

١- عدم قدرة إيران على المضي قدما في سياسة التضليل الإعلامية التي تخوضها المؤسسات الإخبارية التابعة والحليفة لها، خاصة مع تزايد التغطية الإعلامية للواقع السوري، وارتفاع عدد الضحايا جراء ممارسات النظام السوري إلى مستوى الآلاف، (عدد الوفيات المعروفة لدى المفوضية العليا التابعة لحقوق الإنسان، يزيد عن ٣٥٠٠ حالة) ومحاولة امتصاص نقمة المتظاهرين الذي بدؤوا يظهرون موقفا عدائيا من طهران، أظهرته الشعارات وحرق العلم الإيراني، لما يعتقدونه من مشاركة طهران في دعم النظام السوري عبر القمع والاعتقالات.

٢- تغيّر المزاج الشعبي العربي تجاه إيران بشكل سلبي وإلى حد كبير؛ حيث كشف الموقف الإيراني من البحرين وما أعقبه من دعم مفتوح لنظام الأسد، عن حقيقة السياسة الإيرانية القائمة على معطيات طائفية؛ ولقد رسّخت الإجراءات السريعة التي دفعت الحكومة الإيرانية من خلالها كل من حلفائها في العراق ولبنان لمساعدة النظام السوري من هذه الحقيقة. وأمام هذا الواقع كان لا بد للحكومة الإيرانية من اتخاذ بعض الإجراءات للحفاظ على ماء وجهها، ووقف تدهور صورتها، لاسيما وأنّ سياساتها الخارجية تعتمد في الأساس على وجود حالة شعبية مؤبّدة.

## تزايد النظرة السلبية لإيران في العالم العربي (٢٠٠٦-٢٠١١)



Source: Zogby International

٣- المواقف الإقليمية والدولية المتصاعدة حتمت تخفيفاً في اللهجة الإيرانية، وقللت من عدائية الموقف الرسمي تجاه الثورة السورية. فقد شهدت تلك الفترة خطوات تصعيدية إقليمية ودولية من نظام الأسد، كان أبرزها الموقف الخليجي الذي قاده المملكة العربية السعودية، والرسالة القوية التي بعث بها الملك عبدالله، بالإضافة إلى سحب السفراء الخليجين من دمشق. ولا تقوت الإشارة إلى الموقف التركي الذي أعلن عن خيبة أمله وفقدانه الثقة نهائياً بالأسد، واتجاهه إلى خطوات هي أكثر تشدداً. وحتى حلفاء النظام السوري مثل موسكو وبكين، كانوا وجهوا رسائل قوية ومتشددة آنذاك، إذ حذر الرئيس الروسي مديفيدوف في حينه نظيره السوري من "مواجهة مصير مؤسف" إذا لم يتم معالجة الأمر. وفي هكذا وضع كان لا بد من مراجعة الموقف على الأقل كي لا تظهر طهران علانية بأنها العاصمة الرئيسية في العالم التي تدعم نظام الأسد علناً.

٤- المعادلة التي يخوضها النظام السوري منذ البداية، والقائمة على استغلال عنصر الوقت، أفسحت المجال واسعاً للمناورة الإيرانية، بقصد خلق انشاقات داخلية بين مواقف القوى السورية، وخارجية بين مواقف القوى الدولية، حول الدعوة إلى ضرورة الحوار بين النظام والمعارضة. كما أنه يمكن لطهران استخدام هذا الخطاب في الضغط لإنجاز فكرة كانت تقوم على إشراك بعض عناصر المعارضة في السلطة، وذلك من شأنه منع انهيار النظام كلياً.

٥- فتح قنوات اتصال مع المعارضة السورية تحت ذريعة أنّ طهران ضد التدخل الغربي في سوريا. إذ أنّ الانعطاف الإيرانية الإيرانية "الخطابية" جاءت في وقت كانت فيه أطراف المعارضة السورية تعقد اجتماعات متتالية، وتبذل جهوداً حثيثة لتوحيد الصفوف داخليا وخارجيا، في محاولة منها لتشكيل نواة تمهد لمرحلة انتقالية سلمية للتحوّل الديمقراطي في البلاد بعد الانتهاء من نظام الأسد. ومع وصول المفاوضات بين أطراف المعارضة إلى مراحل متقدمة متزامنة مع تدهور شرعية النظام السوري في الداخل والخارج، كان لا بد للبراغماتية الإيرانية من العمل على محاولة إيجاد قنوات تواصل مع المعارضة السورية ولو من باب الاحتياط لما هو قادم، ولذلك فإنّ هذه التصريحات كانت تساعد على البحث عن مثل هذه القنوات. إنّه ليقدرُ لمثل هذه التكتيكات الإبقاء على قناة اتصال بين الشيء ونقيضه في آن! للحفاظ على المكاسب العليا للبلاد، وهذه تعتبر مسلمات في السياسة الإيرانية.

٦- وجود طموح إيراني في لعب دور الوسيط بين النظام والمعارضة السورية، حال وصول النظام إلى مرحلة حرجية. وكان الرئيس أحمددي نجاد قد عبّر عن ذلك صراحة، في مقابلة أجرتها لاحقا معه - لاحقا - محطة "سي ان ان" الأمريكية في شهر تشرين الأول/أكتوبر، ونقلت مقتطفات منها بالفارسية على موقع هيئة البث الحكومية الإيرانية. لقد قال نجاد خلال تلك المقابلة، إنّ بلاده ستبذل كل جهد للتقريب بين المعارضة والحكومة السورية للتوصل إلى تفاهم لحل الأزمة التي تمر بها دمشق. فبعض الأوساط في إيران تعتقد أنّ لعب مثل هذا الدور سيساعد بطريقة غير مباشرة على إبقاء نظام الأسد وان تطلب ذلك إشراك بعض المعارضين فيه.<sup>٢</sup> وتكون طهران قد كسبت بذلك الطرفين من جهة، وتناجرت نتائج وتداعيات أي عملية انهيار محتمل للنظام السوري من جهة أخرى.

### المرشد الأعلى معيار الموقف الإيراني الحقيقي

وحتى لو تجاهلنا كل ما تم ذكره أعلاه في تفسير الموقف الإيراني، فإنّه يمكن لنا فهم هذه التصريحات الإيرانية وحملها على أنها تحوّل جدّي في سياسة البلاد، لولا عامل أساسي يتناقض مع هذا الطرح، ويتمثل في موقف المرشد الأعلى.

<sup>٢</sup> ذكرت صحيفة التلغراف البريطانية في عددها الصادر بتاريخ ٢٠١١/١١/١٤، أنّ مسؤولين إيرانيين التقوا الشهر الماضي بعدد من المعارضين السوريين ممن أسّمتهم "معتدلين" وعلى رأسهم هيثم المناع وعدد من قادة هيئة التنسيق الوطني للتغيير الديمقراطي في سوريا، ونقلت أنّ طهران استغلّت هيثم المناع من أجل التحضير لمؤتمر للمعارضة لكن جهودها لم تنجح.



فالمرشد الأعلى علي الخامنئي - وهو الحاكم الفعلي والحقيقي للبلاد والمشرف الأساسي على المواضيع بالغة الأهمية ذات الصلة بالسياسة الخارجية - لم يتراجع حتى الآن، عن موقفه ولم يخفف ولم يعدل من خطابه تجاه الحالة السورية، سواء في تشخيص الوضع باعتبار المتظاهرين "أدوات تحركهم أمريكا وإسرائيل"، أو باعتبار الثورة السورية "مؤامرة على النظام لأنه ضمن محور الممانعة".

وحتى أولئك الذين راهنوا على حصول تحوّل في موقف المرشد خلال الأشهر القليلة الماضية، انطلقا من استضافة قناة المنار التابعة لحزب الله أحمدني نجاد أثناء إعلانه عن المواقف المستجدة، واعتبار ذلك تمهيدا لتغيير أمين عام حزب الله من موقفه، تبيّن فيما بعد أنّ تحليل أولئك غير دقيق؛ بدليل الموقف الأخير لنصرالله بتاريخ ٢٠١١/١١/١١ والذي عبر خلاله عن أنّ الرهان على سقوط نظام الأسد سيفشل، وأنّ ما يجري هو مجرد مؤامرة أميركية على سوريا (نفس موقف المرشد الأعلى).

إنّ كل الذي يمكننا استنتاجه من قراءة للموقف الإيراني المستجد، لا يعدو كونه مناورة محسوبة ومدروسة، في إطار توزيع الأدوار داخل النظام الإيراني بين المؤسسات الرسمية (الرئاسة والبرلمان والمجالس) وبين الحاكم الحقيقي والفعلي لإيران، أي المرشد الأعلى ومعيته من الحرس الثوري. و يبدو الموقف الإيراني - من جانب - وكأنه محاولة لاستكشاف آفاق المرحلة المقبلة. وأي حديث عن أنّ الموقف المعني هذا، إنما هو نتيجة فعلية لخلافات تدور داخل المؤسسات الإيرانية من جهة أو بين الرئيس والمرشد الأعلى للثورة من جهة أخرى، بما قد يشكل تحلياً عن الأسد ونظامه، إنما هو حديث غير دقيق وتشخيص غير موفق! لعدة أسباب:

- **الأول:** أنّ القول الفصل في هذه المواضيع أو تلك يرجع إلى المرشد الأعلى لا غيره، وإن كان هذا لا ينفي وجود خلاف بين أركان الحكم في إيران.

- **الثاني:** أنّ وزير الخارجية صالح، مراقب من المرشد الأعلى مباشرة وليس من الرئيس، مع الأخذ بعين الاعتبار لدور المرشد الأعلى في صنع السياسة الخارجية الإيرانية؛ إذ إنّّه لا يمكن لصالح أن يغيّر الخطاب على النحو هذا من دون تعليمات مسبقة، ما يؤكد فرضية توزيع الأدوار.

- **الثالث:** أنّ طهران لا تزال تدعم عمليا نظام الأسد على مختلف المستويات السياسية والاقتصادية والعسكرية في مواجهة المتظاهرين؛ إذن فكيف يتخلى عن النظام، من يقوم بدعمه إلى آخر لحظة؟

صحيح أنّ من أساسيات السياسة الإيرانية أن تقدّم طهران مصلحتها القومية على أي مصلحة أخرى، مهما بلغت من أهمية؛ ففضيحة إيران-كونترا ليست استثناءً يستشهد به في هذا المجال، كما أنّ فضيحة "عوفر" في التعاون مع إسرائيل، والتي تم كشفها منتصف عام ٢٠١١ لن تكون الأخيرة. لكنّ الصحيح أيضاً، أن طهران لا تتخلى عن حلفائها إلا بصفقة يتم بموجبها إعطاؤها ما تريده من ضمان لمصلحتها لدى هؤلاء الحلفاء، ولعل عرض "الصفقة الكبرى"<sup>٣</sup> السري مع الولايات المتحدة في العام ٢٠٠٣، لخير دليل على فهم هذا النمط من السلوك الإيراني.

على الرغم من أنّ صحيفة لوفيغارو الفرنسية كانت قد أشارت مؤخراً، إلى الأمريكيين والإيرانيين عقدا اجتماعين في نهاية آب/أغسطس وبداية أيلول/سبتمبر عبر "دبلوماسية الأبواب الخلفية" لبحث الأزمة السورية، إلا أنّه لا يوجد شيء يشير حتى الآن إلى أنّ صفقة ما، جرت أو تجري بهذا الخصوص بين طهران وبين غيرها من الدول حول الملف السوري.

وعلى كل، وانطلاقاً من الخبرة الإيرانية، وتحليل المعطيات أعلاه، والتي تتضمن تغييراً في اللهجة الخطابية ودعماً للأسد من الناحية العملية، فإنّ المقصود من المناورة الإيرانية هو مساعدة النظام السوري حتى النهاية وليس قبلها، مع الأخذ بعين الاعتبار الخيارات التي تساعد على إبقاء النظام والبدائل التي قد تفرض نفسها حال سقوطه كذلك، خاصة بعض الدوائر داخل النظام الإيراني وحزب الله، التي ترى أنّه وبغض النظر عن النظام القادم في سوريا، فإنّ دمشق ستكون بحاجة إلى طهران وحزب الله، لاسيما وأنّ لدى سورية أرضاً محتلةً من قبل إسرائيل، وهو ما سيمكّن طهران من العودة إلى الساحة السورية بقوة، حسب رؤيتهم.

<sup>٣</sup> وثيقة سرية إيرانية تم إرسالها إلى الولايات المتحدة عبر السفارة السويسرية في طهران، بشخص السفير "تيم غولدمان"، وبموافقة المرشد الأعلى العام ٢٠٠٣م، حيث تتضمن عرضاً إيرانياً سرياً باتجاه إنجاز "صفقة كبرى"، تقوم طهران بمقتضاها بالاعتراف بإسرائيل، وإنهاء دعم الحركات المسلحة، وإعادة العلاقات مع واشنطن، مقابل إنهاء السلوك العدائي لأمريكا، وتعهد الأخيرة بعدم مهاجمة إيران، ورفع العقوبات الاقتصادية كلها، وإعادة الأموال التي تم تجميدها إبان فترة الشاه، وعدد آخر من المطالب، أهمها: الاعتراف بشرعية مصالح إيران في المنطقة كقوة إقليمية شرعية. وقد تم رفض الصفقة من قبل صفوف الإدارة الأمريكية آنذاك، الذين كانوا في موقع قوة عند احتلال العراق. للمزيد من التفاصيل حول الوثيقة، يمكن مراجعة تقريرنا بعنوان "خاص: القصة الكاملة للعرض الإيراني السري العام ٢٠٠٣-الحلقة الثانية"، صحيفة السياسية الكويتية، ٢٠٠٧/٣/٧، متوفر على الرابط التالي: